الباب الثاني

الإنتاج

الفصل الأول : في المجال الأدبي .

الفصل الثاني : في المجال الإسلامي .

الفصل الأول
في المجال الأدبي

مقدمة:

كان سيد قطب ~ شاعرا أدبيا قصاصا ناقدا صحافيا كاتبا سياسيا ، وليس أدل على ذلك من إنتاجه المطبوع في شتى الفنون الأدبية ، وإنتاجه الآخر الذي لا يزال في بطون الصحف والمجلات ، وقد وضع أخيرا الأخ الأستاذ عبد الباقي محمد حسين تهامي ثبتا ببليوغرافياً لأعماله ألحقه برسالته «الماجستير» «سيد قطب حياته وأدبه» [1] ، وقد بلغ عدد ما جمع أربعمائة وخمسين مقالة وقصيدة ، وهذا العدد لو جمع في كتاب لألف موسوعة لسيد قطب جديدة في الأدب والنقد والسياسة والإصلاح الاجتماعي وقضايا الإسلام .

بالجملة ، كان سيد قطب عبقرية فذة تعكس ، بالجزم ، مواهب متعددة خصبة ، وقدرة فكرية عالية صقلها الدرس ، وهذبها البحث ، وشحذها الدأب على التحصيل واستيعاب المقروء على الوجه المنشود ، ومهرها وصل الليل بالنهار ، والأصباح بالعشايا في القراءة حتى بلغ مجموع ساعات مطالعاته ـ وخاصة بعد عودته من أمريكا ـ في الفكر الإسلامي في اليوم الواحد عشر ساعات كحد أدنى ، للبحث والاطلاع [2] لذلك أسهم في المجال الأدبي إسهاما فاعلا ومنفعلا أحله مكانة الريادة في الأدب العربي الحديث بلا ريب .

وإن نظرة على آثاره الأدبية تؤكد لنا ذلك بوضوح ، ولأجل ذلك سأفرد الحديث

---

(١) نوقشت الرسالة بكلية دار العلوم عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، وقد أطلعني عليها وهي مكتوبة بالآلة المكررة الأخ الدكتور عبد السلام الهراس ، وستطبع عما قريب كما قال لي صاحبها في رسالة خاصة .

(٢) انظر العظم «يوسف» المرجع السابق ، ص ٢٥ .

عن كل فن أدبي تألق فيه سيد ، وبذلك نستطيع أن نكشف عن قدراته الفكرية وطاقاته الأدبية ، وثقافته الأصيلة التي أهلته لارتياد «ظلال القرآن» الوريفة ، وانطلاقه في معروشاتها يرتع كما يشاء مقدما للناس من العطاء ما بهر حتى أن ذوي الاختصاص لم يكتموا إعجابهم بهذا العطاء الخصب النفيس [١] .

الشعر :

للشهيد سيد قطب دواوين وعد بإخراجها ، فمنها ما صدر بالفعل ومنها ما لم يصدر ، وما أعلن عنه من هذه الدواوين «الشاطئ المجهول» و«أصداء الزمن» و«قافلة الرقيق» و«حلم الفجر» و«الكأس المسمومة» .

الشاطئ المجهول :

من المحقق أن هذا الديوان قد صدر فعلا ويقع في مائة وستين صفحة [٢] ، وكانت مجلة الرسالة تتولى الإعلان عنه ، من ذلك أنها نبهت في هامش قصيدة نشرتها للشهيد تحت عنوان «المعجزة أو السهم الأخير» قائلة : «من فصل الغزل والمناجاة لديوان سيد قطب يصدر أول يناير» [٣] .

والديوان يحفل بكثير من الموضوعات والخطرات المعبرة عن حالات نفسه ، وآفاق حياته الفكرية ، وقضايا الإنسان بكل أبعادها ، ويعتبر أول إنتاج شعري له ، لأنه صدر في يناير ١٣٥٤٧هـ ـ ١٩٣٤م .

أصداء الزمن :

يبدو أن هذا الديوان قد صدر ، والدليل على ذلك أن قصائد نشرت في مجلة

---

(١) من هؤلاء الدكتور محمد يوسف موسى الذي أشاد بإعجاب بالظلال في مجلة الأزهر المجلد ٢٥ ، ج١ ، ص ١٩ ـ ٢٣ ، عام ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م .

(٢) راجع الرسالة ، السنة ٢ ، العدد ٦٩ ، عام ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م .

(٣) راجع الرسالة ، السنة ٢ ، العدد ٧٢ ، عام ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م .

الرسالة [١] ، وصحيفة دار العلوم [٢] يفيد ما ورد في هوامشها أن هذا الديوان سيصدر في شهر ديسمبر عام ١٩٣٧ تحت عنوان «أصداء الزمن» .

وهناك ما يؤكد أن الديوان قد رأى النور كما يذهب إلى ذلك الأستاذ عبد الباقي [٣] وهو شهادة الموظف المختص في مكتبة معهد الدراسات العربية العالي الكائن «بجاردان سيتي» بأن الديوان كان موجوداً بمكتبة المعهد ، لكنه فقد في أيام محنة صاحبه .

قافلة الرقيق :

أعلن عن هذا الديوان بأنه تحت الطبع في الغلاف الأخير لكتابه «كتب وشخصيات» ـ طبعة دار الكتب العربية بدمشق ـ ، وبالورقة الأخيرة من كتابه خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ ويبدو أنه لم يطبع ، والذي أستطيع أن أجزم به هو أن عنوان الديوان هو عنوان قصيدة نشرها في مجلة «الكتاب» [٤] .

حلم الفجر :

أعلن عن هذا الديوان بأنه تحت الطبع في قائمة كتبه المنشورة في كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية» الطبعة الثانية ١٩٥٢ ، نشر دار الإخوان للصحافة ، وفي قائمة كتبه المنشورة بكتاب «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ الطبعة الثانية ١٩٦٥ .

ويبدو أنه لم يطبع كسابقه أيضا ، والذي أستطيع أن أجزم به هو أن عنوان الديوان قصيدة نشرها في مجلة الرسالة [٥] .

---

(١) قصيدة «عبادة جديدة» ، بتاريخ ١/ ١١/ ١٩٣٧ ، وقصيدة «حي جديد» بتاريخ ٢٢ / ١١/ ١٩٣٧ .

(٢) قصيدة خطأ الزمن الوثاب ، السنة ٤ ، العدد ٢ ، ص ١٤٤/ ١٣٥٦ ـ ١٩٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٩ بالآلة المكررة .

(٤) الجزء ٨ ، المجلد ٢ ، ص ٢٩٠ ، عام ١٩٤٦ .

(٥) العدد ٥٢٩ ، ص ٦٦٩ ، عام ١٣٦٣ ، ١٩٤٣ .

الكأس المسمومة :

أعلن عن هذا الديوان أيضا بأنه تحت الطبع في الغلاف الأخير من كتابه «كتب وشخصيات» ، طبعة دار الكتب العربية بدمشق .

ويبدو أنه لم يطبع كسابقه أيضا ، والذي أستطيع أن أجزم به هو أن عنوان الديوان هو عنوان قصيدة نشرها في مجلة الرسالة [١] .

ومهما يكن من أمر فـ «قافلة الرقيق» و«حلم الفجر» و«الكأس المسمومة» عناوين قصائد بالتأكيد وعناوين دواوين ، بدون تأكيد؛ إذ قد يكون الناشرون وقعوا في الالتباس فظنوا لسبب ما أنها دواوين فأثبتوها في لائحة النتاج الشعري ، ولربما يكون ظنهم صادقا وأنها دواوين بالفعل كان سيد قطب قد عزم على إصدارها ثم عدل عن ذلك ، لكن الواقع الآن يرفض ظن الناشرين ، ويؤكد أنها أسماء قصائد إلى حين ظهور الحقيقة .

المضامين الشعرية عند سيد قطب :

يمكن أن نحدد أغراض الشعر عند سيد قطب في موضوعات شتى تنأى عن النعيق والشعوذة وإحراق البخور ، والمدح الزائق والتملق لذوي السلطان والهجاء المر الجارح ، وما شئت من هذه الأمور التي يتخذها غيره من الشعراء ـ وما أكثرهم في كل عصر وأوان ـ وسيلة لتحقيق ما يتطلعون إليه من آمال دنيئة هابطة .

ولست أريد ، وأنا أتحدث في هذا الموضوع ، أن أتقصى مميزات كل مضمون شعري عند سيد قطب فما ذلك من شأن هذه الدراسة ، وإنما هو من شأن الدراسة الأدبية [٢] .

---

(١) العدد ٥٢٩ ، ص ٦٦٩ ، عام ١٣٦٣، ١٩٤٣ .

(٢) في رسالة «سيد قطب حياته وأدبه» ، مباحث في هذا المجال ، لكن لا يزال الميدان خصبا لدراسة شعره مضمونا وأسلوبا .

ونكتفي هنا بالقول بأن شعر سيد قطب قد طرق جل ما نعرف من المضامين قديما وحديثا ، في الغزل والوصف والرثاء والقلق والحيرة والتمرد والحنين والشكوى والوطنيات ، ونكتفي هنا أيضا بإيراد بعض النماذج من شعره تطلعك على جانب من جوانب شاعريته الرفافة الندية .

ففي الغزل يقول متحدثا عن جمال المرأة :

نضجت محاسنها كما وحسبتها
نضجت قطوف جني بغرس
صينت على الأ فهممت أدعوها دعا
نظار من قطف ومس الفن في خطرات همس [1]

وفي الوصف يقول في الخريف :

وقف الكون شاخصا في سكون وتراءى لخاطري كالحزين
وشخوص الأحداث يغرقها الصمـ ـت فتبدو كباهتات الظنون
وكأن الزمن ساوره الحز ن فأغفى إغفاءه المستكين [2]

وفي الرثاء يقول راثيا أمه :

زودني من الرجاء الأصيل مشرقا فيك في المحيا الجميل
زودني يكاد ينفد زادي في صراع مع الحياة طويل [3]

وفي الحيرة والضياع يقول في قصيدته «قافلة الرقيق» ـ وقد سبق عنها القول :

قف بنا يا حادي العمر بنا في طريق لحظة ننظر ماذا حولنا

(١) الرسالة ، العدد ٢٨٣ ، ص ٩٣ ، عام ١٣٥٧ ـ ١٩٣٨ .
(٢) عبد الباقي ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .
(٣) الرسالة ، العدد ٤٢٠ ، ص ٩٣٥ ، عام ١٣٦٠ ـ ١٩٤١ .

قـــد نـــشرنا عمرنـــا فيـــه أشـــلاء حيـــاة ومنـــى [١]

وفي الحنين يقول متحدثا عن ملاعب الطفولة ومغاني الصبا :

يـا ديـار نـشأت فيهـا صـبيا لـك منـي صـحبت الـشباب في العنفـوان
تحيـــة وســـلام منـــك أنـــت دار النعـــيم والرضـــوان
يـــا دار مـــن صـــباي رســـوم زاهيـــات النفـــوس والألـــوان [٢]

وفي الوطنيات يقول فيما يقول ، قصيدة منعت الحكومة حينذاك نشرها متمردا على الظلم حينما وقعت حادثة «مركز البداري» التي مثلها مأمور هذا المركز فقتل مع أهالي البداري عامة ، وراحت حكومة ذلك العهد تؤيد الظلم :

في أيـــما بلـــد نعـــيش وأيـــما عهـد يمـر عـلى الكنانـة مظلـم
عهـد نـسام الخـسف فيـه نبـتلى نقـما إذا قمنـا نـضج ونـنقم
وحـشية كـشف الزمـان حجابهـا لا بل أشد من الوحوش وأظلم [٣]

وفي الوطنيات يقول كذلك متحدثا عن القضية الفلسطينية قصيدة تحت عنوان «فلسطين الدامية» :

عهـد عـلى الأيـام ألا تهزمـوا في النـصر ينبـت حيـث يرويـه الـدم
حيـث تعتـبط الـدماء فـأيقنوا أن سوف تحيوا بالدما وتعظموا [٤]

هكذا ظل سيد قطب الشاعر يرسل حنجرته باللحن الشعري يوزع فيه رؤاه

---

(١) مجلة الكتاب ـ المجلد ٢ ـ الجزء ٨ ، ص ٢٩٠ ، عام ١٩٤٦ .
(٢) مجلة البلاغ الأسبوعي ، العدد ٦٦ ، ص ٣٣ ، عام ١٩٢٨ .
(٣) من ديوانه الشاطئ المجهول نقلا عن سيد قطب حياته وأدبه ، ص ٢٠١ .
(٤) راجع الجدع «أحمد عبد اللطيف» و«جرار حسني أدهم» ، شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

ومشاعره ، ويضمنه قضايا الإنسان المعذب إلى أن وجد طريق الإسلام فانشغل به ، وصارت له اهتمامات شاملة جعلته يعزف عن قول الشعر ، وكأنه سكت عنه لينصت إلى وحي الله ينساب في خاطره ضياء ، كما أنصت من قبله إليه الشاعر لبيد ابن ربيعة فما قال شعرا بعد إسلامه ـ حسب رواية ابن قتيبة ـ إلا نادرا ، وقد قال : له عمر بن الخطاب ﷺ : أنشدني من شعرك فقرأ سورة البقرة وقال ما كنت لأقول شعرا بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران فزاده عمر في عطائه خمس مائة درهم وكان ألفين [1] .

كيفما كانت الحال فقد انصرف سيد قطب ~ عن الشعر بعد أن أصبحت له اهتمامات شاملة هي البحث في الفكر الإسلامي ووسائل الدعوة ، ومنهج التنظيم وغير ذلك مما يتعلق بشؤون الإسلام من قريب أو بعيد ، فشغله ذلك عن كل اهتمام آخر في مجال الإبداع حتى وإن كان هذا الإبداع هو نفسه دعوة إلى التصور الجديد الخالد الذي آمن به أخيرا منهجا مفسرا للكون والحياة والإنسان .

ويلوح لي أن اهتماماته الإسلامية ملأت عليه نفسه ، ولم تترك له مجالا لفن الشعر ومتسعا لمعالجته ، وخاصة في المرحلة العصيبة التي كانت تحياها الدعوة الإسلامية في مصر ، تلك المرحلة التي استدعت القيام بمهمة البيان لمناهج الدعوة ، والكشف عن مخطط العمل الإسلامي للطلائع الإسلامية ، ولست ألوم سيدا في انصرافه عن هذا الفن وأنا أعلم أنه وهب نفسه للدعوة ولم يكن يقنع إلا بالقليل من الراحة ، وأنه في غياهب السجن لم يكن يفتر عن العمل الذي ندب حياته له .

وفي ظني أن سيدا لو امتد به العمر لتابع مسيرته الشعرية ، ولكنه هذه المرة على

---

(١) انظر ابن قتيبة «محمد» الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ١٩٤ ، ط ٢ ـ ١٩٦٩ .

درب الله لا على درب الحيرة والضياع والتمرد ، ولأتحف العالم الإسلامي بشعر إسلامي عالي النفس ، جيد الرؤى ، يكون مصباحا على طريق الشعراء الإسلاميين المعاصرين على نحو ما هو إنتاجه الأدبي والإسلامي مصباح على طريق من يود أن يرشف من نبع فكره الأدبي والإسلامي .

ومع ذلك فقد كتب شعراً إسلاميا صور فيه حالة الدعوة الإسلامية أيام حكم جمال عبد الناصر والمراحل العصيبة التي كانت تمر به ، وأدان فيه ديكتاتورية رجال الثورة وتسلطهم على مقالد الأمور بصورة تتنافى وعقيدة الإسلام .

وهذا الشعر الذي كتبه يتبلور في قصيدته ـ كما في علمنا ـ قصيدة «هبل» وقصيدة «أخي» اللتان فاضت شاعريته بهما وراء القضبان بعد صمت طويل من الشعر .

ففي نار الابتلاء ، ولهيب الفتنة ، وجحيم التعذيب تنطلق حنجرة شهيدنا العزيز وراء القضبان بإرسال الشعر حمماً يعبر عما في الأعماق من السخط على العبودية ، فكانت قصيدة «هبل» [1] يقول فيها :

هبـــــــل هبـــــــل ... رمـــــز الـــــسخافة والـــــدجل
من بعد ما اندثرت على أيدي الأباة عادت إلينا اليوم في ثوب الطغاة
هبـــــــل هبـــــــل رمز الخيانة والجهالة والسخافة والدجل
هتافة التهريج ما ملوا الثناء زعموا له ما ليس عند الأنبياء
ومن الجهالة ما قتل [2]

---

(١) اسم صنم كان في جوف الكعبة أدركته قريش ويده مكسورة فجعلوا له يدا من ذهب ، وكان مصنوعا من عقيق أحمر على هيئة إنسان .

(٢) وردت القصيدة في كتاب الشهيد سيد قطب ليوسم العظم ، ص ١١٣ ، وفي كتاب شعراء الدعوة الإسلامية ، ص ٤١ .

وتنطلق حنجرة شهيدنا العزيز وراء القضبان بإرسال الشعر أيضا حمما محرقة ، ومصابيح خضراً في آن واحد ، وذلك عندما كان في ساحة السجن فرأى من بعيد يدا تحييه بحرارة من خلال قضبان أحد الشبابيك ولم يتسن له أن يتبين صاحب التحية ، فتأثر أيما تأثر ، وأبحرت نفسه نحو دنيا الأخوة الإسلامية ، وراحت تندى وتندي بالمعاني المتدفقة الثائرة على الجاهلية المهترئة في لفظ شعري مشحون بزخم من الصور والرؤى الشعرية المؤمنة ، فكانت قصيدة أخي [1] يقول فيها :

أخي أنت حر وراء السدود ... أخي أنت حر بتلك القيود
إذا كنت بالله مستعصما ... فماذا يضيرك كيد العبيد
إن ذرفت علي الدموع ... وبللت قبري بها في خشوع
فأوقد لهم من رفاتي الشموع ... وسيروا بها نحو مجد تليد

مكانته الشعرية :

إن سيدا يحتل مكانة مرموقة بين الشعراء المحدثين؛ ذلك أنه استطاع أن يثبت حضوره الشعري بما أنتجه من شعر جيد تضمن شتى الأغراض ، وتناول قضايا الإنسان المعذب ومشاعر النفس الحائرة وغير ذلك ، مما يجعل عمله الشعري ينزع نزعة إنسانية ، ويعطيك صورة واضحة عن هموم الناس وتطلعاتهم سواء في بيئته أو في غير بيئته .

ويمتاز أسلوب سيد الشعري بإشراقة اللفظة ، وجمال التعبير ، وتألق التركيبة اللغوية في تعبيرها عن الدلالة النفسية ، والرؤية الخاصة لما يدور حول الشاعر من أحوال .

---

(١) نشرت القصيدة بمجلة «الكفاح الإسلامي» الأردنية ، العدد ٢٩ ، بتاريخ ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٣٧٦ ، ثم بعد ذلك نشرت بمجلة الأيمان المغربية العدد ٧ الخاص عن الشهيد ، السنة ٣ ـ ١٣٨٦ – ١٩٦٦ وصحيفة «النور» المغربية ، السنة ٢ ، العدد ١٣ ، عام ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥ ، وهي ضمن ملف أعده عن الشهيد صاحب هذه الدراسة .

أما مذهبه الشعري فإنه في عمومه يمثل مذهب أصحاب الاتجاه الابتداعي العاطفي ؛ ذلك الاتجاه الذي بلوره جماعة «أبولو» [١] ، ولذلك قدم لنا كثيرا من أعماله الشعرية في الصورة الوجدانية الصادقة ، وحافظ على عمود الشعر في كل ما حبر من قصائد ، ولكنه نوع في قوافيها أحيانا ولم ير عيبا في ذلك ، كما أنه لم يتعصب على الشعر الجديد على نحو ما فعل غيره ، بل إنه وقف موقفا معتدلا منه ، وقد برز ذلك بكل وضوح في حديثه عن قصيدة «قرارة الموجة» للشاعرة نازل الملائكة حين قال :

«تعد رائدة كوكبة من الشعراء في العراق وفي لبنان يمثلون فجرا جديدا للشعر العربي قد لا نقر كل اتجاهاته ، ولكننا نرى فيه طليعة مثيرة ترتقب استقرارها على قواعد مطمئنة واثقة» [٢] .

مهما يكن من أمر فشاعرنا سيد قطب أقرب إلى التجديد في شعره منه إلى المحافظة ، وأقرب إلى جماعة «أبولو» صاحبة الاتجاه الابتداعي العاطفي منه إلى اتجاه التجديد الذهني الذي يمثله عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني ، لذلك عده الناقد الدكتور محمد مندور [٣] ، من شعراء الوجدان الذين هم فرع عن جماعة «أبولو» .

ولا يخلو مع ذلك شعره من اتجاه التجديد الذهني ، لذلك قال مندور «نلمح

---

(١) أسسها الدكتور أحمد أبو شادي في سبتمبر سنة ١٩٣٢ ، وأسند رئاستها لشوقي ، ولكن الموت عاجله فقلدها بعده خليل مطران ، وأصدر مجلة باسمها ، وهذا الاسم يعني عند الإغريق رب كل شعر ، وهذه المدرسة في عمومها تنزع نزعة رومانسية ، ومن شعرائها بجانب أبي شادي ، إبراهيم ناجي ومحمود طه ، راجع ضيف «شوقي» الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص ٧٠ وما بعدها ، ط٦ ، دار المعارف ـ مصر .

(٢) العظم «يوسف» ، المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٣) انظر الشعر المصري بعد شوقي الحلقة الثالثة ، ص ٦٧ ، دار النهضة مصر .

الاتجاه الفكري في شعره» [١] ، وهذا ليس غريبا فقد كان سيد تلميذاً للعقاد في مطالع حياته الأدبية كما سبق القول .

القصة :

أسهم سيد قطب في كتابة القصة إسهاما ، ذا بال إذ صدر له «طفل من القرية» و«أشواك» و«المدينة المسحورة» و«الخريف» و«أحياء وأموات» و«القصص الديني» و«روضة الطفل» .

طفل من القرية :

هي قصة تسجل السيرة الذاتية للشهيد أيام طفولته في القرية ، وقد حفلت بتصوير الريف المصري بما فيه من عادات مختلفة على غرار ما نقع عليه عند طه حسين في كتابه «الأيام» إلا أن سيد قطب في «طفل من القرية» مصلح اجتماعي وطه حسين في «الأيام» مشنع ساخط ، ولا أقسو عليه إذا قلت : إنه مخرب لكونه ينظر إلى ما يحيط به على أنه عدو له .

ومما يلفت النظر في «طفل من القرية» أنه يكشف عن حالة المدرسة في القرية ، وأساليب التربية فيها ، وعلاقة الطالب بالأستاذ ، وتكشف عن المستوى الاقتصادي للريف والفقير المعذب فيها ، وما يهيمن على جو من خرافات وأساطير تشل حركة الفكر .

هكذا تمضي السيرة الذاتية تقدم لنا من خلالها واجهة التعليم في الريف المصري بكل دقائقها ، وعادات القرية بكل مساوئها ، وذلك بأسلوب حلو عذب تصويري نابض بالحياة .

وعلى الجملة فـ «طفل من القرية» يعتبر من أجود ما كتب في السيرة الذاتية فن

---

(١) راجع المرجع السابق .

أدبنا العربي الحديث ، فهو لا يقل شأنا عن «الأيام» [١] من حيث الشكل والمضمون ، ولا أبالغ إذا قلت : إنه يتميز عنه بصدق التصوير والروح المسالمة المصلحة .

المدينة المسحورة :

هي قصة رمزية صدرت عام ١٩٤٦ سار فيها على منوال «ألف ليلة وليلة»؛ إذ تتولى فيها الحكاية شهرزاد وينصت إليها في إعجاب شهريار . وذلك في أسلوب قصصي جذاب .

وتحمل القصة في ثناياها دلالات ترمز إلى أمور كثيرة ، منها الحب في صورته العفيفة ، والنفس الإنسانية في سذاجتها ، وفي دهائها ، وفي هبوطها حين تغذيها الدسائس والحيل ، والفوارق الاجتماعية في خضوعها للتقاليد المقيتة .

والحقيقة أن قصص «ألف ليلة وليلة» تعد مصدرا ثرا لأدبنا العربي المعاصر ، فقد استمد منها توفيق الحكيم رواية «شهرزاد» ، وطه حسين قصته «أحلام شهرزاد» .

غير أن سيد قطب في تناوله لهذا الموضوع يختلف عنهما في جوانب وما ذلك إلا لاختلاف المشارب والتصورات ، من ذلك أن روح القصة القرآنية «أهل الكهف» كانت لها هيمنتها على قلم سيد ، وهو يكتب قصته «المدينة المسحورة» ، وليس أدل على ذلك من أن القصة تعالج موضوع تجمد الحياة في المدينة ، وانبعاث أهلها من جديد ، ثم تهاويهم بفعل الزمن جثثا هامدة وعظاما نخرة ، والناس من حلوهم في ذهول شديد .

وليس ببعيد أن يكون القصص الفرعوني الخرافي مصدراً من مصادره في هذه

---

(١) يسجل سيد قطب إعجابه بكتاب «الأيام» ، حين يقول في معرض الحديث عن كتابه «على هامش السيرة» ، وإنه الكتاب الأول في أعمال الدكتور لا يوازيه في هذا إلا كتاب «الأيام». انظر : كتابه كتب وشخصيات ، ص ١٠٨ ، دار الشروق .

القصة ، وعلى الخصوص ما يتعلق بأمور الجن .

أشواك :

إنها قصة صدرت عام ١٩٤٧ تمثل فترة من شبابه تعلق فيها بفتاة قاهرية تقدم لخطبتها ، ثم ما لبث أن اكتشف أن فتاته هذه تحب غيره ، فآثر الابتعاد عنها بعد أن فسخ الخطوبة ومضى هو إلى سبيله ، ومضت هي إلى سبيلها .

وتخلى عنها هي أيضا من أحبته فاقترنت بأول من تقدم إليها ، وكانت أخيرا الصدمة العاطفية المزدوجة ، وإن خير ما يلخص ذلك إهداء الكتاب الذي يقول «إلى التي خاضت معي في الأشواك فدميت ودميت وشقيت وشقيت ثم سارت في طريق وسرت في طريق : جريحين بعد المعركة ، لا نفسها إلى قرار ولا نفسي إلى استقرار » [١] .

وتحفل القصة بالحب العفيف والروح الرومانسية الحالمة ، وومضات وجدانية آسرة ، ومواقف إنسانية رقيقة ترفدها الأداة الشعرية الغنية والريشة المرهفة ، مما يجعل هذه المواقف تأتلق أعراساً من جمال وأظلالاً من سناء .

الخريف [٢] :

تمثل هذه القصة ظاهرة اجتماعية هي ظاهرة العزوف عن الزواج ، وبطل القصة شاب يدعى «عبد المنعم »يتحلى بعزيمة قوية يواجه بها مشاكل الحياة وينتصر عليها؛ إذ إنه واصل دراسته إلى أن حصل على شهادة عليا وأنقذ بذلك أسرته من الضياع .

وفي غمار انتصاراته على الأحداث ، وأضواء شهرته الأدبية غفل نهائيا عن الزواج ، ووجد في أسرة أخيه أنسه وخاصة ابن أخيه «سمير »، ولكنه ما لبث أن

---

(١) ص ٣ ، (بدون تاريخ) .

(٢) مجلة الشؤون الاجتماعية ، العدد ١٢ ، ص ١١٧ ـ ١٢٠ ، ديسمبر ١٩٤١ .

أحس بالوحدة واللهفة تستيقظ في أعماقه وهو في خريف العمر برغم ما حققه من أمجاد أدبية ، وتأكد لديه أن ما يمكن أن تحققه الأسرة من سعادة لا يمكن بحال أن تحققه الأمجاد الأدبية والألقاب الطنانة التي كانت تداعب أحلامه .

وإنني لألمح في قصة «الخريف» أن البطل «عبد المنعم »يشخص جانبا من جوانب حياة قطب نفسه ، فوازن بين أحداث هذه القصة وأحداث حياته تجد تشابها جليا بينهما .

أحياء وأموات [1] :

بطل هذه القصة هو «عبد الفضيل »، و«عبد الفضيل » رجل فقير ، له أولاد لا يجدون ما يقتاتون به ، والبطل هذا برغم بؤسه فإنه لم يفقد الأمل هو وزوجته في الله تعالى ، فهما يتطلعان دائما إلى الأمل المنشود ، وإن الله تعالى لن يخيب ظنهما .

وفي الجانب الآخر من مسرح القصة رجل آخر غني مترف لا يعرف لترفه حدودا حتى أنه أعد لنفسه قبراً كلفه ثلاثة آلاف جنيه .

وتتضمن القصة نموذجين من البشر : واحد فقير مدقع ، والآخر غني مترف ، ومن خلال تصرفاتهما يدين سيد قطب الواقع الاجتماعي الخطير الذي تحياه مصر حينذاك ، ويدعو إلى الإصلاح وتغيير هذا الواقع السيئ .

القصص الديني :

كان لسيد قطب نصيب أي نصيب في دفع أدب الأطفال إلى الأمام ، ووضع الأسس السليمة لإنشاء جيل مسلم حق ، فقد كتب مجموعة قصصية للطفل يشد عضدها التوفيق؛ إذ تميزت إلى جانب إشراقة الأسلوب ، وعذوبة التعبير ، وسحر السرد ، وجمال العرض بوضاءة العقيدة التي تجلت في مواقف الأنبياء من آدم عليه

(١) المرجع السابق ، العدد ، ١٠ ص ٧٦ ـ ٨٠ ـ أكتوبر ١٩٤٤ .

السلام إلى خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام ، وقد ركز على سيرة سيدنا محمد ﷺ من يوم ولادته إلى أن التحق بالرفيق الأعلى مبرزا مواقفه الإنسانية السامية وأخلاقه الفذة ، وقد شاركه في كتابة هذه السلسلة من القصص الديني الأستاذ عبد الحميد جودة السحار [١] ونشرتها لجنة النشر للجامعيين [٢] .

روضة الطفل :

صدر من هذه السلسلة حلقتان : الحلقة الأولى «أرنبو والكنز» والحلقة الثانية «كتكت المدهش» [٣] وقد اشترك معه فيها يوسف مراد ، وأمينة السعيد ، وتولت دار المعارف بمصر إصدارها ، ونجحت الحلقتان ، وحظيت بإعجاب الصغار .

الخاطرة :

للشهيد خواطر فنية عديدة وهي أقرب إلى الطابع القصصي منها إلى فن آخر ، لكونها تتسم بأسلوب فني ، وتعرض الفكرة باللمحة الدالة .

الأطياف الأربعة :

اشترك في كتابة هذه الخواطر سيد قطب وإخوته ، أمينة وحميدة ومحمد ، وكل واحد منهم كتب موضوعا في الكتاب ، والذي يهمنا هو ما كتبه سيد قطب في هذا الكتاب .

لقد ختم سيد قطب ـ وهو الطيف الرابع ـ الكتاب بخواطر مختلفة .

الأولى : تحت عنوان «أماه» [٤] وفيها يرثي أمه ويبين بأسلوبه الحلو منزلة الأمومة المعطاء .

---

(١) انظر : الحديث عن هذه القصص عند العظم ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) انظر : لائحة كتبه في الصفحة الأخيرة من كتابه خصائص التصور الإسلامي ، ط ٢ ، ١٩٦٥ .

(٣) مجلة الكاتب المصري ، المجلد ٥ ، العدد ١٨ ، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ، مارس ١٩٤٧ .

(٤) ص ١٦٥ ، ط ٢ ، ١٣٨٦ – ١٩٦٧ .

والثانية : تحت عنوان «الزمن الساحر» [١] ، وتتضمن خطابا للزمن فيه من اللفتات الرومانسية ما فيه ، وفيه من الظلال النفسية الفزعة ما فيه .

والثالثة : تحت عنوان «الفاكهة المحرمة» [٢] وهي تحتوي لفتات نفسية تعبر عن أعماق معذبة ، ولربما هي خطرات أوحتها له قصة حبه الفاشلة فسماها «الفاكهة المحرمة» .

والرابعة : تحت عنوان «في التيه» [٣] وهي تتحدث عن حرية الأديب وكيف يجب أن يتمرد على القيود التي يرزخ تحت نيرها .

والخامسة : تحت عنوان «عبد الصنم» [٤] وهي بحث عن الذات الضائعة وبحث عن الطريق المخلص .

والسادسة : تحت عنوان «مع نفس» [٥] وهي الأخرى بحث عن الذات ، وعن السعادة ، وعن الخلاص من كل اضطراب .

أفراح الروح :

هذه إضمامة من خواطر سجلها صاحبها فترة كان في «أمريكا» في شكل رسائل موجهة إلى أخيه وأخته وإلى كل أصدقائه في بلده وغير بلده ، كما ورد في مجلة الكتاب [٦] .

وظلت هذه الرسائل عند سيد ، وعندما وقعت المحنة حصلت مجلة الفكر

---

(١) ص ١٧٤ .

(٢) ص ١٨٠ .

(٣) ص ١٨٦ .

(٤) ص ١٩٣ .

(٥) ص ١٩٧ .

(٦) المجلد ١٠ ، الجزء ٤ ، ص ٣٩٠ ، أبريل ١٩٥١ .

التونسية على هذه الخواطر ، ودفعتها إلى الطبع تحت عنوان «أضواء من بعيد» .

وحينما استشهد سيد قامت الدار العلمية في بيروت بطبع هذه الخواطر ـ ومصدرها في ذلك مجلة الفكر السالفة الذكر ـ تحت عنوان «أفراح الروح» ، ونشرتها مجلة «الإيمان» المغربية [١] تحت عنوان «لم أعد أفزع من الموت ولو كان اللحظة» ، وقدمت لها بقولها «ننشر هذه الرسالة التي كان وجهها من السجن المرحوم سيد قطب إلى أخته سنة ١٩٥٩ ، والتي تدل على روح المفكر الإسلامي ، وتمسكه بعقيدته ، ومثله العليا ، وتفانيه في الإخلاص لها» .

والحق أن هذه الخواطر لم يبعثها سيد من السجن لأخيه فقط ، وقد سبق أن صرح سيد بنفسه في مجلة الكتاب أنه أرسلها لأخيه وأختيه وأصدقائه في كل بلد ، وتاريخ المجلة هو سنة ١٩٥١ .

ويتشكك الدكتور مهدي فضل الله [٢] في أن تكون هذه الخواطر قد صدرت عن سيد قطب : ذلك أن نظرة سيد فيها لا تتفق مع التصور الإسلامي لفكرة الموت ، وسيد في عام ١٩٤٨ كان قد أصبح مسلماً متفقهاً ، إذ ألف كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» ، و«لهذا قد يبدو مستغربا أن يحرر في عام ١٩٤٩ مثل تلك الرسالة التي لا يرتبط بعض أجزائها بصلة بالإسلام وروحه» [٣] .

ثم يؤيد مهدي فضل الله رأيه قائلاً «إن إسهاب سيد في حديثه عن الحياة يبدو أقرب إلى العالم النفساني منه إلى العالم الديني ، وهو أمر يمكن أن يدعم افتراضنا الذي ننسب فيه هذه الرسالة إلى شقيقه محمد الذي يشبه أسلوبه في الكتابة

---

(١) السنة ٣ ، العدد ٧ ، ص ٤٥ ، ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦ .

(٢) مع سيد قطب في فكره السياسي والديني ، ص ٥٤ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ص ٥٥ .

الأسلوب الذي كتبت به هذه الرسالة مع الإشارة إلى أن محمداً كان مجازا في علم النفس ، ولم يكن معروفاً عنه في ذلك الحين أنه مفكر مسلم كسيد ، وإنما كمفكر يهتم بالدراسات النفسية والفلسفية» [١] .

إن ما ذهب إليه الدكتور مهدي فضل الله مجرد فروض باحث يحاول أن يستنتج منها ما يجعل الدراسة في المستوى المنشود من الجدة والابتكار؛ وآية ذلك أن ما ورد من حديث سيد عن فلسفة الموت ليس مناقضاً للتصور الإسلامي لفكرة الموت لكون حديثه لا يعدو أن يكون صمودا لما يمكن أن ينشأ عن الموت من ألم ، وتفاؤلا بالحياة التي لا يمكن للموت أن تشل حركتها وهي تسير على سنة النماء .

فالموت عند سيد في هذه الخواطر شيء ضئيل بجانب قوة الحياة الزاخرة أو ليس ـ كما يقول ـ من قوة الله الحي تنبثق الحياة وتنداح .

لست أرى هنا تناقضا بين حديث سيد عن فلسفة الموت والحياة وبين تصور الإسلام لهذه الفلسفة ؛ لأن الحياة نفسها حكم الله تعالى في الكون ؛ لأجل ذلك قال «من قوة الله الحي تنبثق الحياة وتنداح » [٢] .

أما نسبة الخواطر هذه إلى شقيقه الأستاذ محمد ، لكونها تحتوي على نظرات عالم نفساني على حد تعبير الدكتور ، فذلك مما لا يؤيده برهان ، لأن إنتاج سيد قطب نفسه لا يكاد يخلو من اهتمام بالدراسة النفسية والفلسفية ، ونظرات تلوب في أعماق النفس تعطيك من اللفتات النفسية ما يؤكد لديك اطلاع سيد على علوم النفس والفلسفة وكذا الاجتماع ، وحسبك تفسيره الذي نحن بصدد دراسة منهجه ، ففيه من ذلك ما يغني ، وحسبك كذلك في مجال الخواطر ما كتبه من تسبيحات نفسية في

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦ .

(٢) أفراح الروح ، ص ٩ ط١ ـ الدار العلمية ـ بيروت ١٣٩١ ـ ١٩٧١ .

الأطياف الأربعة السالفة الذكر وهلم جرا .

والدكتور نفسه يقر بثقافة سيد الفلسفية حين يقول عن كتبه «كتب سيد في موضوعات شتى أدبية وتربوية وسياسية واقتصادية واجتماعية وفلسفية ودينية» [١] .

صور من الجيل الماضي [٢] :

أ ـ تلميذة .

ب ـ عذراء .

جـ ـ خطيئة .

د ـ زوجة .

هـ ـ أم وأب مجموعة خواطر ترمي في عمومها إلى الإصلاح الاجتماعي ، وتضع الأصبع على الداء وتشخص الدواء ، وتعالج وتقدم الحلول الناجعة .

إلى الإسكندرية [٣] .

صراصير [٤] .

سوق الرقيق [٥] .

هؤلاء الأرستقراط [٦] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٢) مجلة الرسالة ، العدد ٦٥٢ ، ص ٣٧٩ ـ ٥٨١ ، عام ١٣٦٥ ـ ١٩٤٦ .

(٣) الرسالة العدد ٦٨١ ـ ص ٧٩٦ ـ ٧٩٨ ـ عام ١٨٦٥ ، ١٩٤٦ .

(٤) المرجع نفسه العدد ٦٨٢ ـ ص ٨٥٦ ـ ٨٥٨ عام ١٣٦٥ ـ ١٩٤٦ .

(٥) المرجع نفسه العدد ٦٨٥ ص ٩١١ ـ ٩١٣ ـ ١٣٦٥ ـ ١٩٤٦ .

(٦) المرجع نفسه العدد ٦٨٧ ـ ص ٩٦١ ـ ٩٦٣ عام ١٣٦٥ ـ ١٩٤٦ .

مفارقات [١] .

من الأعماق [٢] .

مجموعة خواطر أيضا ترمز في عمومها إلى إصلاح المجتمع المصري ، وتشيد بنيته على أسس جديدة من العدالة الاجتماعية ، وترمز كذلك إلى محاربة الطبقية المتسلطة .

مكانته القصصية :

كتب سيد قطب عليه الرضوان أعمالا ثلاثة طويلة في الفن القصصي ـ بجانب القصص القصيرة كما سبق الإلماع إلى ذلك ـ هي «طفل من القرية» و«المدينة المسحورة» و«أشواك» .

فـ«طفل من القرية» عمل أدبي يدخل في إطار السيرة الذاتية التي هي فرع من الفن القصصي ، وقد استطاع سيد في هذا العمل أن يعكس قدرته الفنية تلك القدرة التي تتلخص في جودة التصوير ، وإضفاء الحركة على الشخوص ، وخلع الحياة على مشاهد القرية ، وربط أحداث السيرة ربطا يخضع للتسلسل المنطقي ، ويخضع للإتقان الفني في العرض ، الشأن الذي جعل «طفل من القرية» أياما تحفل بكثير من المتعة وبكثير من الحيوية والنشاط .

وينبغي ألا ننسى أن سيدا حدا في كتابة «طفل من القرية» حدو طه حسين في كتابه «الأيام» ، ونستطيع أن نقع على مشابه بين السيرتين في طريقة التناول ، وفي الواقعية الحافلة بالصور النابضة ـ مع ما في واقعية سيد من روح بناءة وواقعية طه من روح هدامة كما سلفت منا الإشارة ـ الأمر الذي جعل سيدا يهدي كتابه لطه حسين [٣] .

---

(١) المرجع نفسه العدد ٦٨٩ ص ١٠١٧ ـ ١٠١٩ عام ١٣٦٥ ـ ١٩٤٦ .

(٢) المرجع نفسه الستة العدد ٧٠٧ ص ٨٠ ، ٨١ عام ١٣٦٦ ـ ١٩٤٧ .

(٣) انظر صفحة ٤ .

و«والمدينة المسحورة» عمل أدبي آخر يمثل عند سيد لونا من الفن القصصي؛ إذ يقدم لنا قصة رمزية عالج فيها قضايا ، منها غيرة المرأة والفوارق الاجتماعية ، وسلك فيها أحدث ما عرفته القصة في عهده من الأشكال الفنية ، فالسرد جميل ، والحوار متماسك البنيان ، والحبكة جيدة ، والأحداث تترى في شبكة فنية متقنة ، والشخوص تتحرك في عفوية ودون أن يشعر القارئ بهيمنة الكاتب على سلوكها ، على حين نجده يملي عليها من الأفكار ما يود طرحه للمناقشة ، وتلك وسيلة فنية لا تتوافر إلا عند المفن الماهر [١] .

و«أشواك» عمل أدبي آخر يمثل عند سيد الفن القصصي الرومانسي؛ إذ يحكي جانبا من حياته حين كتب له أن يحب بعفة ، ويفشل برغم ذلك في حبه .

وقد وفق سيد أيما توفيق حين راح يحلل ألوانا من النفسيات ، ويبرز مميزات كل واحدة منها داعيا في الوقت نفسه إلى الخلق القويم والسلوك الحسن .

امتاز هذا العمل الأدبي بما يمتاز به كل عمل قصصي موفق؛ إذ توسل فيه صاحبه بما يتوسل به كل قصاص ذي خبرة فنية كبيرة من إحكام الحبكة ، وإجادة السرد ، وإتقان في تعقيد الأحداث وإيجاد الحلول لها .

كما امتاز هذا العمل بصياغة أدبية عالية رفيعة هي أقرب إلى الشعر منها إلى أي فن أدبي آخر .

ولا غرابة بعد كل هذا إذا أحدثت قصصه هذه الثلاثة ضجة في دنيا الأدب ، ولاسيما قصته «أشواك» [٢] ، وكشفت عن موهبته الفنية المبدعة ، وأحلته مكانته بين

---

(١) تجنبا من استعمال الخطأ الشائع استعملنا المفن عوض الفنان ، لأن المفن في اللغة صاحب المهارة الفنية ، وأما الفنان فهو الحمار الوحشي له فنون في العدو .

(٢) انظر : الخالدي صلاح «سيد قطب الشهيد الحي» ، ص ٢٠٤ .

كتاب القصة حينذاك ، تلك المكانة التي لم يحرزها بسهولة؛ بل إنه كان يحجم عن طرق هذا اللون الأدبي خشية الفشل فيه ، لأنه لون عسير وفي ذلك يقول :

«القصة أمر عسير إذا أريد لها أن تكون عملا فنيا كاملا ، وعن نفسي أذكر أن القصة هي العمل الفني الوحيد الذي كنت أستهوله ، وأحجم عن محاولته ، طالما أنا أقرأ القصص الأوربي والروسي خاصة ، ثم انصرفت بعض الوقت لقراءة القصص الموضوعة في العربية ، فرأيتني أنسى إحجامي وأحاول كتابة القصة القصيرة ، فهذه المجموعة الجديدة «قصص روسية وفرنسية وإسبانية» ترجمها للعربية عبد الرحمن صدقي تحت عنوان ، «ألوان من الحب» قد ردت على إحجامي ، وتركتني أقدر الموهبة والمهارة اللازمتين لكتابة القصة الفنية» [1] .

لكن سيداً انصرف عن كتابة القصة ، كما انصرف عن كتابة الشعر ، ولو أنه تابع مسيرته في هذه الحلبة لكان في طليعة القصاصين الكبار أمثال : محمود تيمور ، ويحيى حقي ونجيب محفوظ .

النقد الأدبي :

مارس سيد قطب ~ ـ بجانب الشعر والقصة ـ النقد الأدبي وشق طريقه فيه بهمة لا تعرف الكلل ، وقد استند في ممارسته النقدية على ما وهبه الله من ذوق رهيف ، وإحساس جمالي شفيف ، وتمكن أصيل في الثقافة العربية بمختلف علومها ، وفكر خصب ثري رحب الأفق ، وذكاء وقاد ثاقب ، الأمر الذي جعله يشترك في المعارك التي استحرت بين أعلام النهضة حينذاك أمثال الرافعي ، والعقاد ، وطه حسين ، والمازني ، وشكيب أرسلان ، وقد كان في الحق ، فارساً في هذه المعارك لا يشق له غبار ؛ إذ استطاع خلالها أن يفرض حضوره ، ويحوز إعجاب خصومه وغير

(١) مجلة الثقافة السنة ٦ ، المجلد ١ ، عدد ٢٧٢ ، ص ٢٠ ، عام ١٩٤٤ .

خصومه ، كما حاز إعجاب الأدباء البراعم حينذاك ، من هؤلاء الدكتور سهيل إدريس الذي كان يتطلع إلى اليوم الذي يكتب فيه سيد قطب عن قصته «أشواق» التي أهداها له وفي ذلك يقول في رسالة بعث بها إلى صديقه الناقد أنور المعداوي :

« إنك صاحب قلم فنان يا أنور ، وإن في شباتك قوة إلى صدق وإنك ناقد له شأن ، وقد أعجبت بروحك النقادة الصريحة إعجابي بنقد سيد قطب هذا الأديب الذي أحترمه وأقدره وأتابع مقالاته بشغف واهتمام ، وأضعه في الصف الأول من النقاد العرب في العصر الحديث ، ولهذا طمعت ولا أزال أطمع في أن يكتب عن «أشواق» وقد أهديته إياه ـ كما أهديته «حفنة ريح » [١] .

وكانت المعارك تدور حول الشعر ورسالته ، وكان قلم سيد قطب القلم المبرز في الجبهة العقادية ضد الجبهة الرافعية؛ من ذلك سلسلة مقالاته عن «غزل العقاد» التي كان يوالي نشرها بمجلة الرسالة وهي تحتوي خطرات نقدية مهمة [٢] :

وسار سيد قطب يصول ويجول في ميدان النقد دارسا آثار أدباء عصره محللاً مقيماً لإنتاجاتهم ، محددا سمات الاتجاهات الأدبية لديهم ، ومحاولاً في الوقت نفسه وضع أصول لمناهج النقد الأدبي ، وكل ذلك يتجلى في كتبه النقدية الثلاثة «مهمة الشاعر في الحياة» و«كتب وشخصيات» و«النقد الأدبي : أصوله ومناهجه» وفيما نشر من بحوث نقدية أثناء معاركه الأدبية .

ولم يكن سيد قطب في أعماله النقدية من الصنف الذي لا يحب لغيره الخير ، لا بالعكس فإنه عرف دائما بنفس طيبة ، وروح أبية خيرة؛ ذلك أنه لم يكن يبخل على

---

(١) انظر : مثلش «على» أنوار المعداوي في رسائل معاصريه ، الحلقة ٣ ، مجلة الكاتب السنة ١٦ العدد١٧٨ ، ص ٤٧ يناير ١٩٧٦ .

(٢) انظر : الرسالة ، السنة ٦ ، العدد ٢٦٥ ، ص ١٢٦٣ ، عام ١٣٥٧ – ١٩٣٨ .

البراعم بالإرشاد والنصح ، وتقديم العون والرعاية بكل الوسائل الممكنة ، ومن البراهين على هذا رعايته للناقد أنور المعداوي السالف الذكر ، فقد شجعه على السير في طريق النقد ، والمضي فيه قدما نحو الأمام ، فقدمه إلى القراء حين كان رئيس تحرير مجلة «العالم العربي» يقول في رسالة بعث بها للمعداوي عندما كان بأمريكا :

« أخي أنور :

كنت في حاجة إلى رسالتك لأفرح بك ولك ، ثم لأصدق ظني فيك ، فلقد كان الكثيرون يلومونني ـ في مواراة ـ أن قدمتك للنقد الأدبي في مجلة «العالم العربي» ، وكنت أعرف ماذا أصنع وهم لا يعرفون » [١] .

مهمة الشاعر في الحياة :

يعد هذا الكتاب أول عمل نقدي للشهيد ، وكان في الأصل محاضرة أعدها ليلقيها في مدرج كلية «دار العلوم» ، وقد بسط سيد قطب في هذا الكتاب حديثه عن رسالة الشعر في الحياة ، وحدد أهداف الشاعر بأنها غير ما يتحدث عنه الناس من كونها لا تتعدى المتعة والعبث والانعتاق من مواضعات الأخلاق ، لا إن مهمة الشاعر في الحياة هي الارتقاء بالإنسان إلى الغايات العالية ، وبناء المجتمع على أسس من العدل والنبل والفضيلة .

ويرصد سيد من خلال عطاء شعراء جيله من الناشئين ــ وهو أحدهم ويرمز إلى نفسه بـ «شاعر ناشئ» ــ الأخلاق الإنسانية السامية ، والرسائل النبيلة لبناء المجتمع على دعائم الحق ، وكان من الذين تحدث عنهم الشاعر علي عبد العظيم ومحمود عماد ، وبجانب ذلك درس سيد موضوع «الخيال في الشعر» [٢]

---

(١) انظر العظم المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٢) ص ٣٩ ، ط دار الشروق «بلا تاريخ» .

و«ذوق الشاعر» [١] و«التعبيرات الشعرية» [٢] و«شخصية الشاعر» [٣] محللا وناقداً .

كتب وشخصيات :

صدر الكتاب عام ١٩٤٦ ، وحين نمعن في النظر فيه يتبين لنا بوضوح مدى حرص سيد على تتبع ما كانت تزخر به السوق الفكرية من إنتاج في كل فن ، لذلك يعرض علينا في هذا الكتاب نقدات عن الشعر والرواية والقصة والمسرح والتراجم .

والكتاب معرض هام لعدد من عطاءات كبار الكتاب وأعلام النهضة أمثال : شوقي ، وعزيز أباظة ، وطه حسين ، والعاقد ، وتوفيق الحكيم ، وغيرهم ، وفي كل ذلك يتناول أعمال أولئك بالنقد دون تزلف أو مجاملة ، بل يعطي كل ذي حق حقه كاشفاً عن مقدرته النقدية وسعة اطلاعه ، مع ما يرفد هذا من إشراقة في الأسلوب يتميز به سيد قطب في كل عطاءاته .

النقد الأدبي أصوله ومناهجه :

صدر هذا الكتاب عام ١٩٤٨ مبرزا فكر سيد قطب النقدي؛ إذ يعرض علينا فيه سيد إطار العمل الأدبي ، ودراسة قيمه الشعورية والتعبيرية ، ويبسط الحديث بعد ذلك عن مناهج النقد الأدبي وينتهي إلى المنهج التكاملي ، ويتبنى الدعوة إليه بحرارة وهو حين يتبنى هذه القضية فإنه يتبناها عن تجربة ومعاناة ، ويضع لها الموازين بناء على ممارساته النقدية الطويلة ، وخبراته الأدبية التي اكتسبها من خلال احتكاكه بالأعمال الأدبية وتمرسه الطويل بالنقد .

---

(١) ص ٦١ ، ط دار الشروق «بلا تاريخ» .

(٢) ص ٧٩ ، ط دار الشروق «بلا تاريخ» .

(٣) ص ٨٧ ، ط دار الشروق «بلا تاريخ» .

لأجل ذلك يرى أن اتباع منهج نقدي محدد انحراف عن النهج السوي في النقد الأدبي ، ويرى أن المنهج المتكامل يجمع كل المناهج وهو الذي يفي بالغرض . ويعد طه حسين في كتابه عن «أبي العلاء » و«المتنبي » والعقاد في كتابه عن «ابن الورمي » و«عمر بن أبي ربيعة » من أصحاب المنهج التكاملي في أدبنا العربي [١] .

المذاهب الفنية المعاصرة :

يبدو أن لسيد قطب كتابا في النقد بهذا العنوان أشار إليه غير ما مرة في كتابه «كتب وشخصيات» ، وهو يعتمد عليه فيما كتبه من دراسات نقدية في الكتاب المذكور ، يقول في مقدمته تحت عنوان : «وظيفة النقد » «وقد أعددت للمذاهب الفنية مع الدراسة التاريخية كتابا آخر هو المذاهب الفنية المعاصرة وأرجو أن أوفق قريبا إلى إصداره إن شاء الله » [٢] .

لأجل ذلك يحيل على هذا الكتاب مرات [٣] ـ ويظهر أنه كان جاهزا بين يديه ولم يخرجه ـ كقوله «راجع بتوسع في كتاب المذاهب الفنية المعاصرة ».

ويظهر كذلك أن من بين من درسهم في هذا الكتاب ـ كما نقع عليه في حديثه عن كتاب «على هامش السيرة» و«بيجماليون» الذي أورده في كتابه «كتب وشخصيات» [٤] طه حسين وتوفيق الحكيم ، سمى مذهب الأول «مذهب الاستعراض التصويري» ، وسمى مذهب الثاني «ملكة التنسيق الفني» .

ونأمل أن يعثر على هذا الكتاب النقدي الذي ليس يخلو أبدا من نفاسة على ما

---

(١) انظر : كتاب النقد الأدبي ، ص ٢٣٥ وما بعدها ، ط ٣ ، ١٩٦٠ .

(٢) ص ٨ ، دار الشروق (بلا تاريخ) .

(٣) انظر : هوامش الصفحات التالية : ١٠٤ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ .

(٤) ص ١٠٤ و ص ١٢٥ .

نعهده في كتابات سيد قطب النقدية الجيدة .

وفي الظن أنه موجود لوجود أمارات ـ كما رأينا ـ تشي بذلك وتدل عليه .

في التاريخ فكرة ومنهج :

قد يظن البعض أن هذا الكتاب لا يدخل في إطار النقد الأدبي؛ لأنه يتناول البحث في التاريخ والمنهج فيستغرب من تصنيفه ضمن كتب «سيد قطب »النقدية ، لكن الظن يزول حين نبادر إلى القول : بأن الكتاب يتضمن مبحثا عن «منهج الأدب الإسلامي» ، وقد تولت نشره الدار السعودية للنشر ، ويتألف من اثنين وسبعين صفحة ، وهو في الأصل بحثان نشرهما سيد في مجلة «المسلمون» [١] تحت عنوان «في التاريخ فكرة ومنهج» ، وأضيف إلى هذين البحثين بحثان آخران عن التصور الإسلامي للأدب ، ولست أدري من أين استقت دار النشر هذين البحثين ، وما أعلمه هو أن سيد قطب في كتابه «النقد الأدبي» تحدث عن الأدب الإسلامي واستشهد بكلامه قائلا :

«ويقول المؤلف بعنوان «منهج الأدب الإسلامي» [٢] .

ثم أورد فقرات كثيرة من البحث الأول في منهج الأدب الإسلامي الذي ضمه كتاب «في التاريخ فكرة ومنهج» ، ويعني أن البحث قد نشره سيد في إحدى المجلات .

مهما يكن من أمر فالبحثان الأولان في الكتاب دعوة إلى تفهم طبيعة الإسلام التي تتحدد في أنه تصور عام للحياة ، وهو بذلك يحتضن الأدب ويوجهه حسب تصوره الخالد .

---

(١) المجلد ١ ، العدد ١ ، ص ٥٨ ـ ٦٢ ، عام ١٩٥١ ، والعدد ٢ ، ص ٥٥ ـ ٦٠ عام ١٩٥١ .

(٢) ص ١٠٣ .

والحقيقة أن هذه الدراسة التي كتبها سيد عن تصور الإسلام للأدب تعتبر دراسة رائدة ، وهي بدون شك أوحت لأخيه الأستاذ محمد قطب بتأليف كتابه النفيس «منهج الفن الإسلامي» .

ولو أن سيد قطب أمد الله في عمره لأعطى في هذا المجال الشيء الكثير مما يفيد ويتحف على نحو ما نعرف له من دراسات نقدية وجمالية .

وأما غير هذين البحثين مما يضمه الكتاب فهو دعوة خيرة إلى كتابة التاريخ الإسلامي على منهج جديد يقوم على تصور إسلامي حق .

مكانته النقدية :

ظهرت موهبة سيد النقدية في وقت مبكر جداً من حياته ، ويسجل كتابه «مهمة الشاعر في الحياة» هذه القضية؛ إذ يعد هذا الكتاب أول عمل نقدي له ، عندما كان طالبا ، ويعد ميدان النقد بظهور ناقد ذي بال ، وقد أكد ذلك أستاذه الدكتور «مهدي علام »في المقدمة التي قدم بها الكتاب .

وتابع سيد قطب عمله النقدي بعد أن فتحت كبرى المجلات والصحف في مصر صدرها لإنتاجه ك«الأهرام» و«الرسالة» و«الثقافة» و«العالم العربي» ، وصال وجال وشغل الناس بمقالاته النقدية النفيسة .

وقد صدر له في هذا المجال ثلاثة كتب «مهمة الشاعر في الحياة» الآنف الذكر ، «وكتب وشخصيات» ، و«النقد الأدبي : أصوله ومناهجه» بجانب العديد من المباحث النقدية المنشورة في المجلات ، والتي كان الحافز إلى كتابتها غالبا ، المعارك الأدبية التي احتدمت بينه وبين تلاميذ الرافعي كما سبق الإلماع إلى ذلك .

وأصبح سيد قطب وبعد انصراف العقاد ، وطه حسين ، والمازني عن النقد يتصدر قافلة النقد ، ويقتعد عرشه ، ولم يكن يحاول أن ينازعه الريادة في هذا المجال

أحد ، ويصرح هو بنفسه للناس كافة بأن النقد يفتقد إلى ناقد يقوم بأعبائه فيقول :

«ولكنني أصرح ـ وليقل من شاء ما شاء ـ بأنه ليس هناك الآن ناقد يؤدي هذه الضريبة ، كان هناك رجلان يستطيعان أداءها ـ على اختلاف في النوع والطاقة ـ هما العقاد والمازني فانصرفا وحق لهما ذلك إلى الخلق والابتكار [١] .

وقد اقتضى النقد من سيد أن يفقد صداقة الأصدقاء؛ لأنه ترفع عن إغراء الكثير منهم للتراجع عما يراه من أحكام فمضى في عمله النقدي لا يهمه إلا الحق ، وتلك أخلاق عرف بها منذ نعومة أظفاره يقول في هذا الصدد :

« ومن يومها ـ يوم تصدي للنقد ـ وأنا أفقد الأصداء واحداً إثر واحد لأكتسب عدداً معادلاً من الخصوم؛ بل عددا أكبر لأنني أضم إليهم كل يوم خصوما ، ولكني أعاهد القراء على أنني سأمضي في الطريق ، فحسبي أن أعوض ما أفقد من بين القراء المحايدين وهم بحمد الله كثيرون » [٢] .

مهما يكن من حال فقد أثبت سيد قطب حضوره النقدي فأصبح رائد ركبه بعد عام ١٣٣٩ موافق ١٩٤٠ وخاصة حين أصدر كتابه «النقد الأدبي» الذي أبرز فيه آراءه ونظرياته النقدية ، وخالف فيه الكثير من المدارس الأدبية ، الأمر الذي جعل هذا الكتاب ممثلا لمدرسته النقدية ، وهذه المكانة النقدية الملحوظة هي التي دفعت أيضا المثقفين في البلاد العربية إلى أن يتسابقوا إلى تحضير رسائلهم الجامعية عنه في الأدب والنقد ، من بين هؤلاء الأستاذ عبد الله الخباص الذي يعد الآن رسالة الماجستير عنه في الآداب بالجامعة الأردنية تحت عنوان «سيد قطب الأديب الناقد» ، والأستاذ أحمد البدري الذي يعد أيضاً رسالة الدكتوراه عنه في الآداب من جامعة

---

(١) الرسالة الستة ١٢ المجلد ٢ ـ عدد ٥٩٥ ص ١٠٤٦ عام ١٣٦٤ – ١٩٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٤٤ عام ١٣٦٤ – ١٩٤٤ .

الخرطوم تحت عنوان «سيد قطب ناقداً» .

التربية والتعليم :

كان لسيد قطب بجانب هذه الإسهامات الفذة في المجال الأدبي إسهامات أخرى في مجال التربية والتعليم ، ويتجلى ذلك فيما كتبه من نقد لكتاب مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين ، وفيما ألفه من أدب للناشئة ، وقد سبق الإيماء إليه بمناسبة الحديث عن فن القصة عند سيد ، وفيما ألفه أيضا من كتب مدرسية .

نقد مستقبل الثقافة في مصر :

نشر الدكتور طه حسين كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» ، وذلك عام ١٩٣٧ وقد أحدث هذا الكتاب استياءً كبيراً في كل الأوساط نظرا لما ساقه الدكتور من أفكار شاذة ـ على عادته ـ تدعو إلى الانسلاخ من حضارتنا والاندماج في حضارة الغرب .

وتصدى سيد قطب لنقد الكتاب فدحض آراء طه في التربية والتعليم ، وتولت صحيفة دار العلوم نشره في حلقات ، واغتنم «الإخوان المسلمون» الفرصة فنشروا في جريدتهم «الإخوان المسلمون» هذا النقد [١] .

وبعد ذلك أصدر الرد في كتاب عام ١٩٣٩ ليكون في متناول كل الناس ، وليطلعوا على البهتان الخطير الذي يدعو إليه الدكتور طه حسين عميل الاستشراق والصهيونية العالمية [٢] .

الجديد في اللغة العربية :

كتاب مدرسي في اللغة العربية ألفه سيد قطب بالاشتراك مع الآخرين .

---

(١) المجتمع الكويتية العدد ٢١٥ ص ١٦ عام ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤ .

(٢) لصاحب هذا البحث دراسة تحت عنوان «الاستشراق مخطط وهدف» ، وقد تعرض للحديث فيه عن طه وأفكاره ، وقد بين بالحجة القاطعة عمالته وكفره من خلال نصوص كلامه ، وتولت مجلة (المسلمون) نشر ملخص هذه الدراسة في حلقات ست في الأعداد : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، السنة الأولى ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ .

الجديد في المحفوظات :

كتاب مدرسي ألفه سيد قطب بالاشتراك مع آخرين .

سيد قطب واجهة مشرقة في نهضتنا الأدبية :

سبق القول في صدر الفصل الأول من الباب الثاني أن سيدا عبقرية فذة جمعت شتى المواهب النادرة ؛ ذلك أن عطاءات هذا الرجل عطاءات متميزة في جل مجالات الإبداع ، وفي غير مجالات الإبداع كمجال الصحافة ومجال السياسة ومجال الإصلاح الاجتماعي ، وقد رزقه الله ريشة طيعة سخية متفردة بخصائصها بين ريشات أنداده المعاصرين ، وذلك ما دعا العقاد ـ وناهيك ـ به إلى أن يقول عنه في إعجاب : «سيكون سيد قطب أعظم كاتب وأديب بين المعاصرين» [(١)] .

مهما يكن من أمر فما كتبه سيد قطب في ميدان الإبداع يحله الصدارة ، وما كتبه في ميدان النقد يحله الريادة ، وما كتبه في ميادين أخر يضعه في المكان العلي ، وكأن الله تعالى كان يرعى لهذا الرجل مواهبه الفذة لأجل أن يسخرها مستقبلاً في العمل الإسلامي ، وفعلا كان ذلك ، وكانت ضريبته الشهادة المعطاء .

فلا جرم أن سيداً يعد من رواد نهضتنا الأدبية المعاصرة ، وأحد أمراء البيان العربي الحديث ، بلا مدافع ، ولا جرم أيضا أنه بز ، وبلا مبالغة ، بعض قادة الفكر والأدب في عصره في جوانب من المعارف بغض النظر عن ريادته في الفكر الإسلامي الذي أعطاه من نفسه الشيء الكثير والكثير ، الأمر الذي جعله ينصرف عن دنيا الأدب بمفهومه الضيق إلى دنيا الإسلام يدعو إليه بكل ما أوتي من قوة مستثمرا في نشره جميع مواهبه الفذة وجميع إمكاناته العلمية وقدراته الفكرية والأدبية كما سلف القول منذ لحظة .

---

(١) انظر : العظم «يوسف» ، المرجع السابق ، ص ٦٦ .

ولو أن الشهيد تابع عمله الأدبي لنبذ هؤلاء القادة ولأتى بما يبده ، وخاصة إذا جمع الفن الأدبي والدعوة معاً ، ولله في خلقه شؤون .

*****